بولس الرسول

وشهادتهُ على قيامة السيد المسيح

بحث لاهوتي للاب ايف دي لابرباز اليسوعي

انَّ من طالع اخبار العهد الجديد وما ورد فيهِ عن قيامة السيد المسيح تحقَّق انَّ رسلهُ الحواريين شهدوا على هذا الحدث الخطير شهادتين الواحدة تاريخيَّة مبنيَّة على المشاعر والاختبار الحسّي والاخرى لاهوتية تفوق طور الحواسّ

فمن الشهادة التاريخيَّة قولهم عن المسيح انهُ مات وقُبر وانَّ قبرهُ وُجد فارغًا في اليوم الثالث وانهُ « اراهم نفسهُ حيًّا بعد تألمهِ ببراهين كثيرة وهو يتراءى لهم مدَّة ٤٠ يوماً » (اعمال ١ : ٣) . وانهم رأوهُ وسمعوهُ واكلوا معهُ ومشُّوا جسمهُ حتى لم يبقَ لهم في قيامتهِ ادنى ريب وامكنهم ان يشهدوا على ذلك كما شهدوا على بقيَّة الامور الجارية في عهدهم كوجود اورشليم وملك طيباريوس قيصر وحكم بيلاطوس على اليهوديَّة

ومن الشهادة اللاهوتية امور اخرى تحققوها بالنظر العقليّ وحكموا فيها حكماً صائباً مبنيًّا على الايمان كقولهم انَّ المسيح قام بحالة جديدة مخالفة لحياة سائر البشر وكخروجهِ من القبر قبل أن يدحرج عنهُ الحجر وكدخولهِ في العلّيَّة والابواب مقفلة وكانتقالهِ من مكان الى آخر في طرفة العين في هيئات شتَّى تارةً كالمسافر كما فعل مع تلميذي عماوس وتارة كبستاني كفعلهِ مع مريم المجدليَّة . واذا حضر بينهم ذكر لهم حياتهُ السابقة كأثر بعد عين « هذا هو كلامي الذي كلَّمتكم بهِ اذ كنتُ معكم » (لوقا ٢٤ : ٤٤) . وهذه الشهادة كما ترى ليست من قبيل الحواسّ بل تفوق المعرفة البشريَّة لانها من قبيل حياة المجد في دار الخلود وقد اثبت ذلك القديس توما اللاهوتي حيث قال (في الخلاصة اللاهوتية في المطلب ٥٥ ف ٢) : « انَّ المسيح بعد قيامتهِ لم يحيَ بحياة البشر العاديَّة واذا عاش عيشةً خالدة شبيهة بحياة تعالى »

ومتَّن امتاز بين الحواريين في اداء هاتين الشهادتين كلتيهما بولس الرسول فانَّ رسائلهُ العجيبة مشحونة بالآيات المثبتة لقيامة المسيح تاريخيًّا والمبيّنة للسيرة الالهيَّة التي سارها ابن الله بعد انتصاره على الموت بحيث صارت حياتهُ تلك مثالاً لقيامة ارواحنا واجسادنا وعربونًا لخلودنا الابدي

*

اما كون القديس بولس كان شاهد عين على قيامة المسيح فهو امرٌ لا ريب فيهِ وان لم يكن بولس من الاثني عشر . لكن الربَّ اصطفاه بعد موتهِ بقليل ليكون اناءً مختارًا ويبشر باسمهِ بين الامم فألحقهُ بتلاميذه وعلَّمهُ حقائق انجيلهِ بوحيٍ خاصٍ منهُ كما ورد في رسالتهِ الى اهل غلاطية حيث قال (١ : ١١—١٢) « وأُعلمكم ايها الاخوة انَّ الانجيل الذي بُشّر بهِ على يدي ليس بحسب الانسان لاني لم اتسلَّمهُ او اتعلَّمهُ من انسان بل بوحي يسوع المسيح » . ولما صعد الى اورشليم « عرض على بقيَّة الرسل ذوي الاعتبار الانجيل الذي كرز بهِ فاستصوبوه » (غلاطية ٢ : ٢ و ٦)

على انَّ الانجيل يتوقَّف خصوصاً على البشارة باعمال المسيح ولاسيما الشهادة في موتهِ وقيامتهِ فاقتضى اذن الامر أن يظهر المسيح لبولس كما ظهر لبقيَّة الحواريين ليتحقَّق الرسول بنفسهِ صدق قيامة الربّ من بين الاموات ويُعلن بها للامم ويدافع عن صحَّتها حتى آخر انفاسهِ

وفي الحقيقة لم يضنَّ المسيح على بولس رسولهِ بان ظهر لهُ ظهورًا يتناسب كسائر الحواريين « ليكون معهم شاهدًا لهُ في اورشليم وجميع اليهوديَّة حتى اقاصي الارض » (اعمال ١ : ٨) . وقد صرَّح الرسول غير مرَّة بهذه الرؤية التي فاز بها والتي جعلتهُ في رتبة الرسل الاثني عشر . قال في رسالتهِ لاهل كورنتس الاولى (٩ : ١) « الستُ انا رسولًا أما رأيتُ المسيح ربَّنا » . ولما عدَّد في الفصل الخامس عشر من هذه الرسالة الذين تراءى لهم الربّ بعد قيامتهِ قال (١٥ : ٣—٨) : « اني سلَّمتُ اليكم اوَّلًا ما سُلِّمتهُ انَّ المسيح مات من اجل خطايانا على ما في الكتب وانهُ تراءى لكيفا ثمَّ للأحد عشر ثم تراءى لاكثر من ٥٠٠ اخ معاً .. ثم تراءى ليعقوب ثم لجميع الرسل وآخر الكل تراءى لي انا ايضاً كانهُ للسِّقط لاني انا اصغر الرسل ... »

ولسائل يسأل هنا يا تُرى متى ظهر السيد المسيح بعد قيامتهِ لبولس وما هذه الرؤيا التي يشير اليها الرسول اذ لم ينتظم بولس الرسول في عداد الحواريين قبل صعود الرب الى السماء . نجيب انَّ هذه الرؤيا هي التي عاينها على طريق دمشق اذ كان متَّجهاً الى حاضرة الشام وهو بعدُ في ضلاله « ليضطهد كنيسة الله » (١ كور ٣ : ٩ واعمال ٩ : ١—٢٠) فانهُ « اذ كان منطلقاً وقد قرب من دمشق أبرق حولهُ بغتةً نورٌ من السماء

فسقط على الارض وسمع صوتاً يقول لهُ: شاول شاول لِمَ تضطهدني. فقال: من انت يا رب قال: انا يسوع الذي انت تضطهدهُ... فقال وهو مرتعدٌ متذهل: يا رب ماذا تريد أن اصنع...». فهذه هي الرؤيا التي فاز بها بولس وغيَّرت قلبهُ وجعلتهُ بعد جموحه مؤمناً فتعمَّد «واخذ يكرز في مجامع اليهود بيسوع انهُ هو ابن الله»

وان اعترض علينا معترضٌ قائلاً انَّ هذه الرؤيا ليست كالرؤى التي حظي بها الرسل وانَّما كانت رؤيا خياليَّة كما حصل لكثيرين من القديسين في هذه الحياة الذين تراءى لهم السيد المسيح عند تجرُّدهم عن الحواسّ. وشتَّان بين هذا الصنف من الرؤيا ورؤيا الرسل للمسيح بعد القيامة الذين رأوهُ رأي العيان وسمعوا صوتهُ ومسُّوا جراحات يديهِ ورجليهِ وجنبهِ «واكلوا وشربوا معهُ بعد قيامتهِ من بين الاموات» (اعمال ١٠: ٤١)

فالجواب على هذا الاعتراض انَّ رؤيا السيد المسيح للقديس بولس وان حدثت بعد صعود الرب الى السماء الَّا انها كانت حقيقيَّةً حسيَّة ثابتةً ولنا على ذلك عدَّة دلائل صريحة من كتاب الاعمال ورسائل بولس نفسهِ: (الاوَّل) انَّ القديس بولس في اخباره عن ظهور المسيح كما قلناهُ آنفاً من رسالتهِ الى اهل كورنتوس لا يفرز بين الرؤيا التي نالها هو من الرب ورؤى بقيَّة الرسل بل يجعل رؤياهُ كرؤاهم. (الثاني) انَّ الرسول نفسهُ يثبت رسالتهُ بكونهِ رأى المسيح كبقيَّة الرسل: «الستُ رسولاً أما رأيت المسيح ربَّنا» فكأنهُ يقول: ليس بين دعوتي ودعوة الرسل الآخرين فرقٌ اذ رأيتُ مثلهم المسيح. فلولا انهُ رأى المسيح عياناً في جسدهِ الحيّ لما صحَّ برهانهُ. (الثالث) انَّ الرسول بولس فاز ايضاً برؤى اخرى خياليَّة خارجاً عن الحواسّ الَّا انهُ يفرز بين هذه الرؤيا وتلك ويصف كلًّا منهما وصفاً مختلفاً قال في الرسالة الثانية الى اهل كورنتس (١٢: ٢) عن اختطافهِ الى السماء الثالثة «أفي الجسد لستُ اعلم ام خارج الجسد لستُ اعلم». امَّا ظهور المسيح لهُ المرة الاولى فليست كذلك فانهُ اذ يروي قصَّتهُ في اورشليم امام اليهود (اعمال ٢٢) يشهد بانَّ السيد المسيح ظهر لهُ وانهُ سمع صوتهُ وانهُ ارسلهُ لبشارة الامم. ثم يذكر رؤيا اخرى ظهر لهُ فيها المسيح بعد ذلك (اعمال ٢٢: ١٧—١٨) الَّا انهُ يصرّح بأنَّ هذه الرؤيا كانت في الجذب: «ولما رجعتُ الى اورشليم وكنتُ اصلّي في الهيكل حدث لي انجذاب فرأيتهُ يقول لي... الخ» أفكان

يمكنهُ ان يفرز بنوع اصرح بين الرؤيتين. (الرابع) انَّ بقيَّة الرسل فهموا الامر كذلك فانَّ القديس برنابا اذ ادخل بولس بين التلاميذ (اعمال ٩: ٢٧) « اخبرهم كيف رأى بولس الرب في الطريق وانهُ كلَّمهُ ». (الخامس) انَّ القديس بولس في كل تصرُّفاتهِ ومعاملاتهِ كان يشهد لقيامة المسيح التي دعاه الله للمدافعة عنها (اعمال ٢٣: ١١). ولمَّا قام امام الحاكم الروماني فستوس لم يفهم هذا من امرهِ غير انهُ يشهد « عن رجل اسمهُ يسوع قد مات ويدَّعي بولس انهُ حيّ » (اعمال ٢٥: ١٩)

فلا يبقى بعد ذلك ريبٌ بأنَّ بولس الرسول شهد كسائر التلامذة الاثني عشر على قيامة المسيح وانهُ شاهد عياني رأى الرب وسمعهُ مثلهم وتحقَّق بنوع حسّي قضيَّة قيامتهِ من بين الاموات

*

واذ قد اثبتنا القسم الاوَّل ممَّا تحرَّينا بيانهُ علمٌ الآن تبيّن الشهادة اللاهوتية التي بناها القديس بولس على الشهادة الاولى الاختياريَّة. وهذه الشهادة الاخرى اسمى واشرف من شهادة الحواسّ وبموجبها يبين الرسول انَّ قيامة المسيح مثال قيامة نفوسنا من الخطيئة التي استوجبت الموت لاجسادنا ثم انها رمز عن المجد السماوي الذي ربحهُ السيد المسيح لنفوسنا واجسادنا بعد نقي جنسنا من دار الخلود. وهذا ما ارادهُ الرسول بقولهِ (١ كور ١٥: ١٧): « ان كان المسيح لم يقم فايمانكم باطل وانتم بعدُ في خطاياكم »

وبياناً للغاية الاولى اعني انَّ قيامة المسيح اشارة الى نجاتنا من خطيئة آدم لنعيش للنعمة فانَّ القديس بولس يذكر قضيَّةً ثابتة في الاسفار المقدَّسة وهي انَّ الله اقام السيد المسيح بدلًا من الجدّ الاوَّل فاصلح ذاك بموتهِ وقيامتهِ ما افسدهُ هذا. قال في رسالتهِ الى الرومانيين (٥: ١٥-١٨) « ان يكن بسبب زلَّة واحد قد مات الكثيرون فبالأحرى كثيرًا وفرت نعمة الله وعطيَّتهُ للكثيرين بالنعمة التي لانسان واحد هو يسوع المسيح ... فاذن كما انهُ بزلَّة واحد كان على جميع الناس للقضاء كذلك ببرّ واحد يكون لجميع الناس تبرير الحياة لانهُ كما انهُ بمعصية انسان واحد جُعل الكثيرون خطأة كذلك بطاعة واحد يُجعل الكثيرون ابرارًا »

وقد كان الله عزَّ وجلَّ بسبب خطيئة الجدّ الاوَّل حكم على الناس اجمعين بالموت الزمني وجعلهُ كرمز عن الموت الروحيّ وكما انَّ موت النفس كان مخلّدًا كذلك كان موت الجسد بلا رجاء القيامة قال الرسول (رو ٥ : ١٢) « كما انَّ الخطيئة دخلت بانسان واحد الى العالم وبالخطيئة الموت فهكذا اجتاز الموت الى جميع الناس»

ومن ثمَّ ان كان المسيح هو آدم الجديد وبقيامتهِ من بين الاموات غلب الموت فتكون علامة غلبتهِ الاكيدة اننا نتجو بهِ من موت النفس والجسد معًا . وعلى رأي الرسول ليس وسطًا بين هذين الامرين لمَّا انَّ المسيح لم يقم ولمَّا ان يقوم الجنس البشري كلُّهُ مع المسيح بعد محو خطيئة آدم . قال في رسالتهِ الاولى الى اهل كورنتس (١٥ : ١٢) « فان كان المسيح يُكرز بهِ انهُ قد قام من بين الاموات فكيف يقول قومٌ بينكم بعدم قيامة الاموات »

الَّا انهُ لا ريب في قيامة المسيح كما يشهد على ذلك التاريخ فاذن لا بُدَّ من القول بانهُ أُلغيت بقيامتهِ تلك السنَّة التي بموجبها حُكم علينا بموت النفس والجسد معًا . قال الرسول في رسالتهِ الى اهل كولسي (٢ : ١٤) : « ومحا الصكَّ الذي كان علينا . . . واخذه من الوسط وسمَّره في الصليب » فنتج من ذلك مناقضة تامَّة بين عمل آدم الاوَّل وآدم الجديد . قال الرسول في رسالتهِ الى اهل كورنتس الاولى (١٥ : ٢١—٢٣) : « لانهُ بما انَّ الموت بانسان فبانسان ايضًا قيامة الاموات فكما في آدم يموت الجميع كذلك في المسيح سيُحيا الجميع كل واحد في رتبتهِ . المسيح على انهُ باكورة ثمَّ الذين للمسيح عند مجيئهِ »

وهذا القول يكرّرهُ بولس مرارًا في رسائلهِ فمن ذلك قولهُ في رسالته الاولى الى اهل تسالونكي (٤ : ١٣) : « فانا ان كنَّا نؤمن انَّ يسوع قد مات ثمَّ قام فكذلك سيُحضر الله الراقدين بيسوع معهُ » وفي رسالتهِ الى الرومانيين (٨ : ١١) « وان كان روح الذي اقام يسوع من بين الاموات حالًّا فيكم فالذي اقام المسيح من بين الاموات يحيي ايضًا اجسادكم المائتة من اجل روحهِ الحالّ فيكم » . وذلك لان حال الجسد هي كحال الرأس وكما ان المسيح هو الرأس الذي اقامهُ الله من بين الاموات فكذلك ينبغي للجسد ان ينال القيامة معهُ . وهذا ما يبينهُ الرسول في رسالتهِ الى اهل افسس حيث قال (١ : ٢٢—٢٣) : انَّ الله جعل المسيح « رأسًا فوق الجميع للكنيسة

التي هي جسده ومل٤ الذي يملا الجميع في كل شيء . . . فحين كنَّا اموانًا بالزلّات احيانا مع المسيح . . . واقامنا معهُ واجلسنا معهُ في السماويّات »

ولانّا نحونا بموت المسيح وقيامتهِ من الموت الابدي في اجسادنا ونفوسنا فيأمرنا الرسول ان نباشر حياةً جديدة مع المسيح في محبّة الله الفائقة الطبيعة . قال في رسالتهِ الثانية الى اهل كورنتس (٥ : ١٥) : «وانّما مات المسيح عن الجميع لكي لا يحيا الاحياء لانفسهم فيما بعد بل للذي مات وقام لاجلهم » . وقد بدأ الرسول بنفسهِ ليكون مثال هذه الحياة السامية حيث قال (غلاطية ٢ : ٢٠) : « وانا حيٌّ لا انا بل المسيح فيَّ وما لي من الحياة في الجسد انا حيٌّ بهِ في الايمان بابن الله الذي احبَّني وبذل نفسهُ لاجلي » . وفي رسالتهِ الى الرومانيين يبيّن لهم انَّ هذا مختصر الحياة المسيحيَّة . قال (٦ : ٣—٥) . اتجهلون انَّ كل من اصطبغ منّا في يسوع للمسيح اصطبغ في موتهِ فدُفِنّا معهُ في الموت حتى اننا كما اقيم المسيح من بين الاموات بمجد الاب كذلك نسلك نحن ايضاً في جدَّة الحياة لانّا اذا كنّا قد غُرسنا معهُ على شبه موتهِ فنكون على شبه قيامتهِ ايضاً » . ومن ثمَّ يحضُّ اهل كولسي على هذه الحياة الشريفة (٣ : ١—٤) : « اذن ان كنتم قد قمتم مع المسيح فابتغوا ما هو فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله . إفطنوا لما هو فوق لا لما هو على الارض فانكم قد متم وحياتكم مستترة مع المسيح في الله . ومتى ظهر المسيح الذي هو حياتنا فانتم ايضاً تظهرون حينئذٍ معهُ في المجد »

وفي قول بولس الرسول « تظهرون حينئذٍ معهُ في المجد » اشارة الى سرّ آخر ترمز اليهِ قيامة المسيح على حسب تعليمهِ اعني قيامة اجسادنا في اليوم الاخير بعد نجاتنا من الخطيئة والموت الروحي . وهذه الغاية الاخرى من قيامة الربّ

وذلك انَّ جسد المسيح لم يقم من الموت في حالة الضعف والالم قابلًا للاوجاع والموت كما كان قبل وفاتهِ ولم يعد الى حياة شبيهة بحياة الموتى الذين احياهم كلعازر او ابنة يائير او ابن ارملة نعيم بل فاز جسدهُ بشبه خواصّ نفسهِ الممجّدة وتكيَّف بكيفيّات روحيَّة عجيبة . منها « السرعة » التي بموجبها كان يسير مسير البرق فيظهر في يوم واحد في امكنة متعدّدة منتقلًا اليها باخفّ من طرفة العين . ومنها « اللطافة » التي جعلت المسيح قادرًا على الخروج من القبر دون ان يدحرج الحجر وعلى النفوذ في العلّيَّة والابوابُ مقفلة . ومنها « البهاء » الذي كان يجلّل شخصهُ باضواء منيرة تؤثر

في قلوب الناظرين وهو النور الذي « ابرق حول بولس » عند ظهور المسيح لهُ في طريق دمشق (اعمال ٩: ٣). ومنها ايضاً « عصمتهُ من الموت والوجع » بحيث لا يمكن المسيح بعد قيامتهِ ان يصيبهُ ألم او يفسد جسده بالموت كما قال بولس في رسالتهِ الى اهل رومية (٦: ٩): « اذ نعلم انَّ المسيح من بعد أن اقيم من بين الاموات لا يموت ايضاً. لا يسود عليهِ الموت من بعد »

اما البدا المحيي لجسد المسيح بعد قيامته فانَّ الرسول لا يدعوه نفساً بل روحاً دلالةً على الحياة السامية التي يحيا بها المسيح وهي حياة تفوق طور حياة البشر العاديَّة. قال بولس في رسالتهِ الاولى الى اهل كورنتس (١٥: ٤٥—٤٧): « جُعل الانسان الاوَّل آدم نفساً حيَّة وآدم الاخر روحاً محيية ولكن لم يكن الروحاني اوَّلاً بل الحيواني وبعد ذلك الروحاني. الانسان الاوَّل من الارض ارضيّ والانسان الثاني من السماء سماوي »

ولمَّا كان المسيح كما سبق قد جعلهُ الله بمثابة آدم الاب الاوَّل اقتضى انَّ الذين يموتون في المسيح يقومون ايضاً مثلهُ اعني في حالة جسمهِ الممجَّد لتكون الاعضاء في حالة الرأس. وقد نبَّه الرسول الى ذلك بقوله في الكلام التابع للنص المذكور: « على مثال الارضيّ يكون الارضيُّون وعلى مثال السماوي يكون السماويون وكما لبسنا صورة الارضي كذلك سنلبس صورة السماوي ». وعليهِ فانَّ قيامة المؤمنين في اليوم الاخير لا تكون « في نفس حيَّة » بل « في روح محيٍ » فيكون « الزرع بفساد والقيامة بغير فساد. الزرع بهوان والقيامة بمجد. الزرع بضعف والقيامة بقوَّة يُزرع جسد حيواني ويقوم جسد روحاني » ومن ثمَّ سيقوم المختار في يوم الدين بجسد خالد غير قابل للاوجاع لطيف سريع مضيء كما كان جسد المسيح بعد قيامتهِ من القبر. وذلك لانَّ الرب « سيغيِّر جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد بجدهِ »

*

فترى من كل هذه الادلَّة انَّ بولس الرسول لم يعتبر فقط قيامة السيد المسيح كحقيقة تاريخيَّة ثبتت لديه برؤيا خصوصيَّة ظهر لهُ فيها المسيح كما ظهر لاخوتهِ الرسل بل يعدُّها ايضاً كعقيدة لاهوتية يوقف عليها بشهادة الايمان وما هذه العقيدة الَّا كون المسيح بعد ان فكَّ الجنس البشري من ربقة الخطيئة والموت رشَّحهم لحياة النعمة ثم

من بعدها للقيامة المجيدة التي تجعل اجسادهم في يوم الدين شبيهة بجسد المسيح في خواصه العجيبة بعد قيامته

وقد اختصر الرسول كل ايماننا في هذه الالفاظ الوجيزة الجامعة وهي قوله: اعترف بقيامة يسوع فتخلص قال في رسالته الى اهل رومية (١٠: ٩) « لانك ان اعترفت بفمك بالرب يسوع وآمنت بقلبك انَّ الله قد اقامهُ من بين الاموات فانك تخلص »

قصيدة

في قيامة ربّنا وفادينا يسوع المسيح

من نظم سيادة المنسيور يوسف اللم النائب الاسقفي

قام المسيح فيا بُشرى قيامتهِ ... سيري بذا اليوم ابهى من غزالتهِ
بتنا ليالي واياماً نؤملنا ... من صبحكِ اليوم بشراً من اسرتهِ
ظنَّ البُغاة الأُلى فازوا بمطمعهم ... بانَّ ذا الفوز ممتدٌّ لغايتهِ
قالوا استرحنا ونمنا ملء اعيننا ... وقد اخذنا احتياطاً من ضلالتهِ
نقام ذا اليوم يخزي من بهِ عبثوا ... ولا فرار لهم من وجه سطوتهِ
وراح ذاك الصفا يعدو بلا وجلٍ ... عدواً حثيثاً سريعاً نحو اخوتهِ
نشوانَ من طربٍ نشوانَ من ظفرٍ ... كأنهُ الفارس المجلي بساحتهِ
كذا النساء سرينَ اليوم من فرحٍ ... يخرنَ بالبرق اذ يسري بمخبّتهِ
هيَّا الى القبر سالوا عنهُ مخفركم ... قوماً من الجند رمتم في حراستهِ
هيَّا الى القبر سالوا فوقهُ حجراً ... منكم ترشّح خوفاً من حُياتهِ
هي الحقيقة لا تنفكُّ ظافرةً ... وجحفل البطل مأسور بنزوتهِ
قد تمَّ ما قيل واعتدّوه عن سفهٍ ... يا ناقضاً هيكلاً خذ في بنايتهِ
قد كان يونان بطن الحوت مضجعاً ... فعاد ثالث يومٍ في سلامتهِ
قولوا لذا الجيل كفوا عن مقالتكم ... قد قام من ليس يُعطي غير آيتهِ
فوق الصليب طلبتم منهُ معجزةً ... نجاتهُ كالأُلى أنجى بقوّتهِ